الإمام محمد الصالح بن مهنا آثاره العلمية وآراؤه الإصلاحية.

Imam Muhammad Al-Saleh bin Muhanna, his scientific implications and his reformist views

محمد عبد الحليم بيشي[1]

[1]جامعة قطر، (قطر) halimbichi@ymail.com

تاريخ إرسال المقال: 2020 /05/08 تاريخ قبول المقال: 2021/04/04 تاريخ نشر المقال: جوان/2021

الملخص

يتناول البحث حياة محمد الصالح ابن مهنا القلي القسنطيني الأزهري، وما خلفه من أفكار رائدة وآراء ناهضة، يكاد بها مؤرخو النهضة العلمية في الجزائر يجمعون على ريادته لحركة الإصلاح الديني لما حملته كتاباته وآراءه من جديد غير مأثور في الحياة الثقافية التي هيمن عليها التقليد والحفاظ على الموروث، ولذلك كانت تلك الآراء ناقدة وساخطة على المتداول في الساحات العلمية وعلى قرينتها الساحات الصوفية، والنقد الشديد للتراتبية الطرقية، وبعض تجلياتها السياسية كالثورات الشعبية، ومن تم كانت مركزية الدعوة للتجديد في الدرس العلمي والعملي عند ابن مهنا.

كما يتناول البحث أهم القضايا الفكرية التي طرحها مثل موضوع الشرف والشرف، وأولوية العمل على النسب، والموقف من ذيوع السحر والشعوذة عند المغاربة، وتفضيل المشرق على المغرب، والعرب على غيرهم، والموقف من العمل الفقهي الفاسي، والنقد الشديد للوضع التعليمي في الجزائر، فضلا عن النكير على الأوضاع الاجتماعية من شيوع الجهل والبداوة، والنقد للأجهزة العدلية في الجزائر المستعمرة، والذي كلفه محنة مشهورة، كما سنتبين عنده الاعتداد بالعمق المشرقي والإشادة بالتجربة العلمية في تونس ومصر. وسنعتمد المنهج التاريخي في دراسة الآثار، والمنهج التحليلي النقدي في دراسة الأفكار، معتمدين أساسا كتب ابن مهنا.

الكلمات المفتاحية: ابن مهنا، الأشراف، قسنطينة، المغاربة، الإصلاح.

Abstract

The research deals with the life of Muhammad Al-Saleh Ibn Muhanna Al-Qali Al-Qasantini Al-Azhari, and the pioneering ideas and rising opinions behind him. By which almost historians of scientific renaissance in Algeria was gathered under his leading movement for religious reform. And for his writings that carried new unusual views in the cultural life which was dominated by tradition and preservation Of heritage .Therefore those views were critical and discontent with the circulating in the scientific arenas and its context the Sufi arenas, and the severe criticism of the hierarchy of Turukiya , in addition to some of its political manifestations such as the popular revolutions, Which was central to the call for renewal in the scientific and practical lesson of Ibn Muhanna.

The research also deals with the most important intellectual issues that he presented such as the issue of honor and honor, the priority of work over lineage, the attitude on the prevalence of magic and sorcery among Moroccans, the preference of the East over West, and Arabs over others, the attitude on jurisprudential work, the severe criticism of the educational

المؤلف المرسل: محمد عبد الحليم بيشي ، الإيميل:**halimbichi@ymail.com**

situation in Algeria, The denial of social conditions in the prevalence of ignorance, and nomadism, as well as the criticism of the justice apparatus in the colonial Algeria, which cost him a famous ordeal, as we will through him show the appreciation of the oriental depth and praise of the scientific experience in Tunisia and Egypt. We will adopt the historical method in the study of archeology, and the critical analytical method in the study of ideas, mainly adopting Ibn Muhanna books.
Key words: Ibn Muhanna, Al-Ashraf, Constantine, Moroccans, Reform

المقدمة

محمد الصالح ابن مهنا القلي القسنطيني الأزهري رجل شغل الناس في حياته، وبعد مماته، لما خلّفه من أفكار ناهضة، ولمِا دوّى به من آراء حركت الراكد في مياه الجزائر الآسنة من مخلفات التقليد، ولمِا تركه من صيحات نفخها في رماد الوباء الفرنـــسي الجاثم كالصـــخر الجلمود على ظهور الجزائريين المحروبين.

يكاد مؤرخو النهضة العلمية في الجزائر يجمعون على ريادته لحركة الإصلاح الديني لما حملته كتاباته وآراءه من جديد غير مأثور في الحياة الثقافية التي هيمن عليها التقليد والحفاظ على الموروث، والتي حثت مطاياها من أجل الانعتاق من الآصار والأغلال التي كبّلت عقل ما بعد الموحدين، العقل المنشدّ للتقليد والتبعية والخرافية والصنمية والتجزيئية والذرية واللفظية الجوفاء حسب توصيف حكيم الحضارة وفيلسوفها مالك بن نبي.

الإشكالية: تدور إشكالية البحث حول رسم خارطة حياتية لابن مهنا، وأخرى لأهم القضايا التي فجرّ فيها الجدل داخل المنطقة المغاربية، وذلك من حيث مخالفة آرائه للمعهود والمألوف والمأثور، فعلى خلاف السائد من القضايا المتداولة في الفقه والنحو والكلام والتصوف هبطت على الساحة العلمية آراء ناقدة ونبرة ساخطة على المتداول في الساحات العلمية وعلى قرينتها الساحات الصوفية، فكانت الدعوة للتجديد في الدرس العلمي والعملي، وكانت الصيحة الكبرى والنذارة العالية على أشراف وفقهاء ومتصوفة الوقت، مما جعل الجميع يرمي ابن مهنا عن قوس واحدة، وجاءت الإدارة الفرنسية لتمسك بالخناق، وتوضع وتخبّ في تلك المعامع التي تركت ابن مهنا وحيدا أمام الأفواه الفاغرة والأضراس الناجذة للغول الفرنسي.

الفرضيات: تطرح الورقة جملة فرضيات وتوقعات للبحث عن جذور الآراء المفردة لابن مهنا، والتي نزعم ابتداء قصورها عن الوفاء بحق البحث العلمي لتعلاّت غياب المصادر الكافية عن الرجل وآثاره، وموارد تجديده، والأكثر هو الوقوف على مصادر أفكاره وعلاقاتها بالحركات النهضوية في المشرق أي الوهابية والعبدوية والسنوسية. إضافة إلى فرضية أخرى متعلقة بحركة إصلاحية مذهبية محافظة سرعان ما وُئدت أو اختفت تحت زخم الحركات الصاعدة، ويمكن التمثيل لها برواد كبار أمثال الشيخ عليش في المالكية، والكوثري في الحنفية، والتي جانبت جديد العبدوية الصاعدة في المشرق.

ومما يجعلنا نرمي السهام لترجيح هذه الفرضـــية هو مخالفة ابن مــهنا لمهيع معاصريه من الفقهاء في قضايا الإيمان والاحتساب، فالناظر في آرائه يلحظ على ابن مهنا تلك النبرة المتشدّدة الحادة في قضايا الإيمان والعمل، فعلى الرغم من أشعريته وصوفيته، فإن عقل الفقيه هو الذي غلب عليه في نقد التصرفات التي كان عليها فقهاء وفقراء وعدول زمنه، حتى إنه ربما عدل عن المشهور في التكفير إلى المسطور في بعض المدونات، كتكفير أهل الرشا من الحكام، وهو ما يحيل إلى موقف سياسي مناهض للأجهزة العدلية في الجزائر المستعمرة.

كما تترجح النظرية في دعوة ابن مهنا إلى تقويم سلوكيات العامة التي تردّت في زمنه، حيث شاعت الخمور، وكان الأفيون مألوفا في المقاهي والخانات، وترك الصلاة ليس عليه كبير نكير، فكانت آراؤه الشديدة متساوقة مع إرادة الإصلاح الاجتماعي لشعب طحنته العاديات الفرنسية، وتركته شبيها بالأموات.

ولكن تلك الإصلاحية المذهبية الصوفية لم تكن تسير خبط عشواء، كيف لا والرجل يشيد بتجربة السنوسي في ليبيا، فقد كان داعية إلى التدرج في الإصلاح، وهو ما يفسر لنا مواقفه الغريبة من قادة الثورات الشعبية المتأخرة كالشيخ الحداد والمقراني وبقية الأشراف والأجواد، فهو يرفض المجازفة في معركة غير متكافئة الإمكانات، خاضها من خاضها، وبقي بعدها الاستعمار مكينا، وهو موقف مشابه لمواقف ابن زكري في الوسط من ثورة الرحمانيين، والشقراني في الغرب من ثورة بوعمامة، مما يجدر بنا إعادة القراءة البصيرة تجاه من نعتبرهم زعماء الساعة في المقاومة، وهم حقيقون بذلك، فلولا الدماء المدرارة التي صنعت حاجزا وردما عظيما وسدا كبيرا مع الغريب الفرنسي لانمحت الهوية الجزائرية، ولم يجد العلماء بيدرا لآرائهم.

منهج البحث: سنعتمد في هذا البحث المنهجين التاريخي والتحليلي النقدي، فالأول في دراسة الحياة والآثار العلمية، والثاني لاستقراء الآراء المفردة والقضايا الجدلية، معتمدين في الأساس المصادر المتوفرة عن الرجل نفسه، إضافة إلى المراجع والدراسات المصاحبة.

وقد تضمنت خطة البحث مبحثا متعلقا بالتعريف بابن مهنا، وثانيا لتراثه العلمي، وأخر لآرائه ومواقفه الإصلاحية، وأخيرا الخاتمة التي تضمنت النتائج والفرضيات المفتوحة لآرائه.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ محمد الصالح ابن مهنا.

أولا: مرحلة النشأة والتكوين العلمي.

مخطط أولي لمراحل حياة الشيخ أبي البركات محمد الصالح بن مهنا[1]

1854-1838	1857-1854	1887-1857	1910-1887
الميلاد والدراسة الابتدائية في الشمال القسنطيني	الدراسة في جامع الزيتونة بتونس	الدراسة في الجامع الأزهر بمصر	مرحلة التدريس والإمامة بقسنطينة

1- مولده ونشأته: ولد الشيخ محمد الصالح بن مهنا بقرية العشرة (الكركرة) بنواحي مدينة القل حيث تنتشر قبيلته العربية في أحوازها وجبالها، وربما يترجّح أنه ولد أواخر الثلاثينيات، وإن رجح الصيد ولادته سنة (1840م)[2] ، ويبقى الأمر في خانة الرجحان لحين الكشف عن بقية آثاره، ومنها رحلته.

2- مسيرته ورحلاته العلمية:

أ/ الشمال القسنطيني: نال ابن مهنا حظه من حفظ القرآن الكريم وأوليات العلوم من فقه ولغة في مشاتي القل وأحوازها، ولا ندري هل انتقل إلى حاضرة قسنطينة في مبتدأ أمره؟ أم رحل إلى تونس مباشرة.

ب/ تونس (1272هـ-1854م): انتسب إلى الزيتونة، ودرس هناك الكتب المقررة في اللغة والفقه والنحو. وأُعجب بأجوائها العلمية والدينية حتى قال:" ولا زلت أحب تونس، وأحب أهلها، وأحب جدرانها، وأحب حتى كلابها لما رأيت فيها من العشر الأواخر من رمضان سنة (1272)"[3].

ج/ الأزهر الشريف: (1274هـ-1857م).

المقطوع به من تتبع المسار العلمي للرجل أنه كان بالأزهر سنة (1860)، أو قبلها بقليل بأدلة مهمة:

- وصفه للأزهر وأروقته وطلبته والهيئة العلمية، ومشيخة الباجوري، قال:" إذ ذاك في الوقت الذي كنت فيه هناك، وهو سنة أربع وسبعين ومائتين وألف، وهو الشيخ الباجوري، فهو شيخ الجميع، والحاكم على الكل"[4].
- ذكره لزيارة الشيخ محمد النيفر الأكبر للأزهر في حجته الأخيرة والتي توفي بعدها بالمدينة (1860)[5].
- مشاهدته الحية لزيارة السلطان عبد العزيز العثماني، والتي كانت سنة (1279هـ- 1862م) [6].

سكن الشيخ ابن مهنا برواق المغاربة، والرواق هو تكية مصغرة للطلبة المجاورين الذين يُنفق عليهم من الأوقاف التي يرصدها المحسنون وأهل البر على الطلبة والعلماء، وكانت هذه الأوقاف من الوفرة بمكان، وعليها قام التعليم الأزهري كله إلى أن ضُمت لأملاك الدولة عقب الثورة المصرية سنة (1952).

وترك ابن مهنا إحصاء للطلبة المغاربة فقال:" من جملة شروط وقف رواق المغاربة ألا يدخله غير مالكي، ولا من ولد في غير المغرب من الأقطار الأربعة: طرابلس وتونس والجزائر وفاس، وعدد الطلبة ثمانون، والكل تحت شيخ الرواق، وهو تحت رئيس المالكية، وشيخ المالكية تحت رئاسة شيخ الجامع وهو في هذا الوقت أي سنة (1274هـ) هو الشيخ الباجوري. وقدم لنا ابن مهنا إحصاءاته للهيئة العلمية سنة (1279هـ/1862م) فكانوا (11000 طالب)، و(400 عالم)، وذكر شهادته على قدوم السلطان العثماني عبد العزيز إلى مصر، وزياراته للأزهر وعطاياه للعلماء والطلبة.

3- شيوخه: تكلم ابن مهنا عن شيوخه، ويمكن أن نذكر بعضهم تبعا لمرحلتي دراسته في تونس، ثم مصر:

أ/ شيوخه في تونس:

1- عبد الله الدراجي: الجزائري، من أولاد دراج الهلاليين بالحضنة[7]، وقد درس عليه بتونس، وكان مشهورا بالصدع بالمعروف والنهي عن المنكر حتى أن حكام تونس كانوا يدارونه لتلك الحدة الجزائرية.

فقد قال فيه:" شيخنا الدراجي قدّس الله سره لا يزال درسه للبخاري بجامع الزيتونة وبجامع سبحان الله بتونس يعرّض بالأمير، ويزجر عن الظلم ويبالغ حتى أنه ربما صرح والجواسيس تنقل ذلك إلى الأمير"[8]، وقد توفي الدراجي بالمدينة المنورة سنة (1296هـ-1878م)، وألف عنه ابن مهنا كتابا منقبيا بعنوان" إسعاف الراجي في بعض مآثر الشيخ عبد الله الدراجي". كما أنه نسب نفسه إليه في صدر كتابه" رسالة لطيفة" بأنه تلميذه.

2- الشيخ الجربى المالكي: درس عليه بالزيتونة شرح الدردير على خليل[9].

3- الشيخ محمود بن محمد قابادو التونسي المتوفي سنة (1288هـ-1871م)[10].

4- الشيخ صالح النيفر[11]: درس عليه الفقه وروى عنه سند التونسيين في المذهب.

5- الشيخ محمد النيفر الأكبر، عالم تونس وقاضيها والمتوفى سنة (1277هـ-1860م)[12].

6-المازري محمد بن الطاهر أبو عبد الله المتوفى سنة (1284هـ-1867م)[13].

7- الشيخ عاشور الساحلي: درس عليه بالزيتونة، وقال عنه:" صالح ورع كبير السن"[14].

ب/ شيوخه المصريون:

8- الشيخ زكريا الأزهري[15]. 9- الباجوري إبراهيم شيخ الجامع الأزهر. وهو مشهور بشرح الجوهرة[16].

10- العلامة أبو النجا الأزهري[17]. 11- الشيخ مصطفى العروسي شيخ الجامع الأزهر. والذي حلاه في رسالة إظهار الحق" بشيخنا علامة الإسلام الشيخ مصطفى العروسي شيخ جامع الأزهر"[18].

12- الشيخ محمد بن أحمد عليش المفتي[19]، وكان ينسب نفسه إليه فيقول: صالح بن مهنا القسنطيني الأزهري العليشي، وألف فيه كتابا منقبيا هو " تذكرة من يعيش في بعض مآثر الشيخ عليش"، وأخذ عنه السند المالكي من الطريق المصري الواصل بالدردير. وكان من مناصري ثورة عرابي التي امتحن بسببها.

13- الشيخ حسين المرصفي، (1815-1889م)، علاّمة العربية وباعث النهضة الأدبية في الأزهر[20].

14- الشيخ حسن العدوي الحمزاوي (1805-1886)[21].15- الشيخ الرفاعي[22]. وذكر بأنه قرأ عليه شرح السلم للملوي بحاشية الصبان. 16- الشيخ الشرقاوي الشافعي، وأخذ عنه مغني ابن هشام[23].

17-الشيخ محمد الأشموني الشافعي (1903م) ودرس عليه المطول على التلخيص للسعد التفتازاني[24].

18- الشيخ أحمد الأجهوري (1822-1876) ومما أخذه عنه مختصر السعد في البلاغة[25].

19- الشيخ محمد الأنبابي شيخ الأزهر(1824-1896م)، وقرأ عليه ابن مهنا فنونا وكتبا كثيرة، مثل مختصر السعد في البلاغة والصبان على الأشموني في النحو، وقد حلاه بأوصاف الكمال والسخاء[26].

4/ رحلاته: تعددت رحلات ابن مهنا خارج القطر الجزائري وداخله، ويمكن إجمال رحلاته في الآتي:

أ/ تونس: وقد درس بها، وعشقها، وأخبر في حاشية على الرحلة عن بعض مساجدها وآثارها، وذكر آثار قرطاجة وقنواتها:" لكن حناية قرطاجنة أمر هائل وأعظم، وقد ذهبت الآن"، كما زار القيروان وقبر سحنون بن سعيد صاحب المدونة وزار سوسة[27]. وغيرها.

ب/ ليبيا: حيث زراها في طريقه رحلـــته إلى الأزهر، فدخل طرابلـــس الغرب، وشاهد مساجدها وآثارها،

وإدارتها المركزية في الحصن الذي أخذ منه ورقة السفر للعبور، ومر بمدن مصراتة، وزليتن التي زار بها ضريح الشيخ عبد السلام الأسمر، وكذلك بنغازي التي شهد بها انقلاب الأوضاع الاجتماعية بسبب ما أحدثته الدعوة السنوسية في أصقاع برقة، وتكلم عن قبيلة "أولاد علي" الذين امتهنوا قطع الطريق سلفا:" ولكنهم الآن تهذبوا بسبب الشيخ السنوسي، ففتح الله به أعينا عميا، وآذانا صمّا، وقلوبا غلفا"[28].

ج/ مصر: لم يكتف بالمجاورة في الأزهر وسكنى القاهرة التي افتتن بها كثيرا، وإنما زار مدنا عديدة في مصر في الوجهين القبلي والبحري، وكان مغرما بمشاهدة الآثار والمدارس والخوانق والترع، كما كان يزور مشاهد الصالحين ويتبرك بهم، وحاشيته على الرحلة مشحونة بهذه الرحلات الداخلية، فمن ذلك أنه زار قرية " ملوي" بالصعيد، وزار طنطا ومشهد السيد البدوي، وكذلك الإسكندرية التي زار بها مساجدها ومشاهد صلحائها كابن عطاء الله، والمرسي، والبوصيري، وياقوت العرش، والطرطوشي، وغيرهم. كما عرفنا بافتتاح قناة السويس أيام إسماعيل باشا سنة (1869م)، وكيف قضت على تجارة الإسكندرية[29].

د/ الحج إلى بيت الله الحرام: أدى ابن مهنا فريضة الحج منطلقا من مرفأ القصير بمصر، وذكر أن طريق القصير عُدل عنها إلى السويس في حـــياته[30]. كما زار المدينة المنـــورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم.

هـ/ فلسطين والشام: زار بها مدن القدس، ودخل مدينة الخليل، وحل بغزة "وشاهدت مسجدا عظيما في غزة من بلاد الشام"، وأشار في لفتة إلى أنه زار قبر " متى والد سيدنا يونس" في الشام أي دمشق[31].

و/زيارات داخلية في الجزائر: زار مدنا أخرى كبسكرة التي زارها سنة (1895)، وأخبر عن خمول ذكرها:" ولـــعمري لقد ذهـــب الاسم بالكـــلية –مدينة– ولا حصـــلت درجة المدن الثانوية، ولا بلغـــت رتبة القرى الحضرية[32]،

ز/– الجريد التونسي: زار مدينة توزر سنة (1895)، وتأسّف على تراجع دورها العلمي ونشاطها المسجدي" وأما الآن فلم يبق حسن في مساجدها، فقد شاهدتها في حالة يرثى لها"[33].

ثانيا: المرحلة الجـــــــزائرية في عطاء ابن مهنا (1887––1910م).

تعدد عطاء ابن مهنا بعد رحلته المشرقية، ويمكن إجمال أهم المنجزات في الآتي:

1–التدريس والإمامة: عاد الشيخ ابن مهنا من الأزهر الشريف شهابا واريا من العلم، وكتلة متقدة من الحماس لمباشرة التعليم والإصلاح في الجزائر المنكوبة في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة[34]، وقد مارس فريضة التعليم والتدريس والإرشاد في كل من:

أ/ زاوية الشيخ بلقاسم بوحجر، وذلك في أيام مشيخة الشيخ علي بن أبي القاسم بوحجر، وبها تزوج من عائلة بن الشايب، واستمر مواظبا فيها على إمامة الأعياد.

ب/ قسنطينة: انتقل إماما إلى المسجد الكبير بطلب من الشيخ محمود بن محمد الشاذلي[35]. ومارس مهام الإمامة بالمسجد، وكان يلقي دروسا في الزاوية الحنصالية للعوام ينقلها وينتقيها من الجامع الصغير للسيوطي وغيره من الكتب، كما كان يسرد كل يوم عند الفجر صحيح البخاري في الجامع الكبير بقسنطينة[36].

2- تلامذته: وهم كثير من متعلمي قسنطينة وفضلائها، حيث أثمر جهاد ومثابرة ربع قرن من عمل ابن مهنا التعليمي والتوجيهي تلاميذ كثرا آزروا شيخهم، وحملوا مشاعل النور بعده، وكونوا نخبة جديدة، وسيقوم بعضهم بمؤازرة حركة الإصلاح الصاعدة أيام ابن باديس، ومنهم:

أ- عبد المجيد بن بريك بستانجي (1882-1972): ناسخ كتبه، ومن أنصاره في محنته[37].

ب-الشيخ رودسلي عبد الكريم (1867-1908)، كتب في الدفاع عنه، وردّ على المهدي الوزاني.

ج- الشيخ بهناس المختار(1860-1935) وكان يستضيفه في قرية الجباس، وبها صارت عديد كتبه.

د- الشيخ يوسف بن بروال، وكان ينوب عن ابن مهنا في الصلوات وفي صلاة العيدين.

هـ- الشيخ علي بن اليسري، وكتب عنه الشيخ أحمد حماني بجريدة البصائر.

و- الشيخ محمد بن مسعود حماني المتوفى سنة (1939م)[38].

ز- الشيخ السعيد بهلول الورثلاني (ت 1945): ممن اقتبس الفكرة الإصلاحية عن ابن مهنا، ومن أوائل من نابذوا البدع المرابطية، وكتب " الرد على الطرقيين والعوام القائلين بتلقين الأوراد والذكر" [39].

3- تصوفه: انتمى الشيخ صالح بن مهنا للطريقة الحنصالية، وكان مدرسا بزاويتها، وله كتاب" فتح الرحيم الرحمان بشرح نصيحة الإخوان" للشيخ أحمد المبارك القسنطيني الحنصالي. وذكر بأنه أتم الشرح سنة (1295هـ/1878م).

ولكن ابن مهنا كان في تصوفه على مهيع المعتدلين غير المغالين، فكم انتقد في تعليقاته السلوك غير القويم لبعض أدعياء التصوف في صورة مذكرّة بما خطه يراع الأخضري في القدسية، وابن الفكون في كتابه " منشور الهداية". فقد كان تصوفه تصوفا سنيا خالصا، مبنيا على العبادة والعمل، وهذا ما شهد به معاصروه، كما تثبت ذلك "كتبه التي تجمع بين الحديث عن التصوف وعن تحرير العقل"[40]

4- محنة ابن مهنا:

تعرض ابن مهنا لمحنة شديدة آواخر القرن التاسع عشر (1897م)، فعُزل عن الإمامة وصُودرت مكتبته وحمُلت لدار العمالة الفرنسية بقسنطينة، وناصره بعض تلامذته وأعيان زاوية بوحجر، ولكنه آثر درء الفتنة عن أنصاره، فخطب فيهم لصرفهم عن مواجهة السلطة الاستعمارية.

ربما تعود المحنة إلى آرائه الإصلاحية في مواجهة الفلكلور والزردات الملصقة بالتصوف، وتجديده للخطاب الديني بترصيع خطبه بالدلائل القرآنية والآثار النبوية بما لم يعهده الموظفون الدينيون الذين يعيشون ويتمعشون من إرث عصر الانحـــطاط الأدبي والديني الذي ران على العالم الإسلامي في العـــهد العثماني.

لكن القضية الأبرز في المحنة هي آراؤه الصادمة للمجموع في قضية ارتباط الشرف والتقوى، وطعنه في الميراث الأدبي الذي يجعل الأشراف فوق المسآلة الشرعية، وكذا في غمزه للأنساب المدّعاة لعديد الأشراف، ولبعض ساكنة قسنطينة، بل إن الأشراف وظهيرهم من متصوفة الوقت لم يغفروا له فتح ملف النسب الإدريسي الذي تعود إليه أغلب الشجرات الشريفية بشمال إفريقيا، واستمرت الخصومة حامية

الوطيس بالكتابات المباشرة والردود العنيفة من رجال الوظيف الرسمي وغيرهم حتى أن ابن مهنا ألف غوثية (قصيدة استغاثة لرفع الضيم) في هذه المحنة.

والمهم أن الإدارة الفرنسية لم تترك وسيلة للإيقاع بالرجل إلا وركبتها حتى أنها استدعت النائب المستشرق ألبان روزي للبحث عن آراء ابن مهنا في كتبه، غير أن هذا النائب الذي عرف بتعاطفه مع الجزائريين لم يعجبه هذا العمل من السلطة ومن المكيدة التي حيكت لابن مهنا، وطلب من السلطة أن ترجع المكتبة لصاحبها، وبعد ذلك حاولت السلطات تبرير فعلتها، وادعت جريدة (الأخبار) شبه الرسمية أن ابن مهنا قد أوقفته الإدارة عن عمله، لأنه انتقد انتـــقادا شنيعا على الحـــكومة وعلى كثير من فضلاء المسلمين"[41].

والمهم أن ابن مهنا استمر في عمله مواجها الغول الاستعماري، والمناوئين من حضر قسنطينة، وبعض الموظفين الدينيين، فضلا عن خصومته العلمية الشهيرة مع عاشور الخنقي، ولكن ذلك لم يثنه عن المثابرة وصناعة الوعي، وسيثمر عمله نهضة علمية في جزائر القرن العشرين.

5- وفاته: توفي الشيخ محمد الصالح بن مهنا بمدينة قسنطينة في داره الواقعة بحي الحدادين رقم (99) فجر يوم (11 أفريل 1910م)، وشُيعت جنازته في موكب مهيب ودفن بمقبرة مدينة قسنطينة[42]، وقد رثاه محبوه وتلاميذه، وأسفوا على فراقه، مما يدل على الأثر الكبير الذي تركه في قسنطينة، ويكفي أن نستذكر الشهادة النادرة لمالك بن نبي :" وإنه من الواجب علينا أن ننوه ببعض ما كان من أمر مناجاة الشيخ (صالح بن مهنا) الضميرية الفردية، فإن صوت مناجاته كاد يوقظ أهل قسنطينة كلها سنة (1898)"[43].

المبحث الثاني: التراث العلمي لابن مهنا.

ترك الشيخ ابن مهنا عديد المؤلفات والرسائل في مختلف الفنون، وعلى خلاف معاصريه فقد كان مكثرا من التأليف، وله عارضة قوية وبنان طويل، والمستعرض لمؤلفاته يجد مصداق ذلك، فقد ألف في جلّ حقول الثقافة الدينية، وسنعرض كتبه تبعا لما ذكره مترجمه الرائد سليمان الصيد، ولما استقريناه من حاشيته كالآتي:

أولا: كتب الشيخ ابن مهنا المطبوعة:

1-حاشية على الرحـــلة الورثلانية، وهي التي أثارت علـــيه زوابع الردود والنـــقوض، وكانت من أســـباب محنته.

2-فتح الرحيم الرحمان بشرح نصيحة الإخوان[44]، وهي للشيخ أحمد المبارك القسنطيني الحنصالي.

3- مناسك الحج، وقد ألفه الشيخ على عادة المالكيين في التأليف في المناسك خاصة لمن حج منهم، وطبع بالمطبعة البارونية بمصر سنة (1892).

4- الفتح الرباني في الرد على المهدي الوزاني، وهو مختصر " السيف المهند المسلول لقطع رأس المهدي المغربي الوزاني الجهول، والمسمى أيضا " فتح الكريم الوهاب في الرد على مفتي فاس الكذاب"، وقد طبع بمصر بمطبعة التقدم (1909).

5- إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسية" وطبع بمطبعة بيير فونتانا سنة (1904م).

ثانيا: الكتب المخطوطة لابن مهنا.

أ/ مجموعة العقائد والردود.

6- تحقيق الدعوى في الرد على أعـــداء أهل التـــقوى، وهي الرسالة الكـــبرى التي اختـــصر منها تنبيه المغترين.

7- تنبيه المغترين والرد على إخوان الشياطين، مختصر المؤلف السابق.

8- زجر الكلاب والرد على مسيلمة الكذاب. أو" السرية التعيسة النحيسة بسيرة فلان الخسيسة الرخيصة"

9- شرح الجوهرة في التوحيد للقاني. 10-شرح الشيبانية في التوحيد.

11- القول السديد على متن القصيد في علم التوحيد لأبي عبد الله الجزائري. ولعله هو شرح الجزائرية الكبير لأبي عبد الله الجزائري، والتي شرحها أيضا بآخرين وسيط، وصغير.

ب/ مجموعة التصوف والوعظ:

12-فتح الفتاح القدير بشرح حزب الفلاح للجزولي، والحزب الكبير لمحمد بن عيسى[45].

13- الدر الأسمى في بيان معنى نظم الأسماء (شرح الدمياطية[46])، وشرح آخر صغير لها.

14- أقرب الوسائل في الصلاة على النبي وجمع الشمائل[47].

15- مولد النبي صلى الله عليه وسلم: وقد ذكر أنه له سبعة موالد أخرى:" وهذا المولد تمم خط يدي ثمانية مولدا بلا فخر ولا قصدي استفخارا[48]

16- الفتوحات الأزهرية في الخطب المنبرية الجمعية[49].

17-مختصر مولد المناوي (ت 952هـ). وله مولد شريف مختصر من المواهب اللدنية للقسطلاني (921هـ) وكتابه هذا واسع في السيرة النبوية والشمائل، وكذا أحوال المصطفى وزوجاته، ومعجزاته.

18-مختصر المدخل لابن الحاج[50]، ومنه مولد شريف مختصر من المدخل.

19- مختصر الترغيب والترهيب للمنذري على ترتيب أبواب خليل.

ج- مجموعة الفقه والتفسير والحديث:

20- شرح ابن عاشر[51]: قال ابن مهنا: إنه موجز، وذكر فيه المعتمد من أقوال المذهب.

21- تكملة مختصر الأخضري عبد الرحمان (1512-1575م): الفقهي: وقد وصل فيه إلى باب الاستخلاف، وبدأ ابن مهنا التكملة بقوله:" فصل وصلاة النافلة مستحبة في كل وقت يجوز فيه النفل"[52].

22- شرح القرطبية في الفقه المالكي. 23- شرح الشمائل النبوية للترمذي.

24- شرح الأربعين النووية. 25 -مختصر تفسير روح البيان لإسماعيل حقي البروسي.

26- قواعد الإسلام (يشبه قواعد عياض). 27- التدريب، وهو مصنف في العبادات والعقائد.

28- كتب الفضائل: فضائل رمضان، فضائل ليلة النصف من شعبان، وآخر في فضائل عاشوراء.

29- شرح منظومة الصبان في المصطلح.30-بشارة المتقين في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين).

د/ مجموعة النحو واللغة والبلاغة:

31-السر المصون على الجوهر المكنون"[53]، وهو شرح لكتاب الأخضري في البلاغة.

32- شرح منظومات النحو: للشبراوي، والعطار، والحفني.

هـ/ مجموعة التاريخ والتراجم:

33- تعليق على رحلة العبدري المتوفى سنة (700هـ)، قال فيه:"وقد كتبت طررا على رحلته، ورددت عليه أبلغ رد، وهو جدير بذلك، فوالله لقد كذب"[54]

34-تذكرة من يعيش في بعض مآثر الشيخ عليش.35-إسعاف الراجي في بعض مآثر الشيخ عبد الله الدراجي. 36- الديوان الحفيل في الرحلة إلى الحرمين والقدس والخليل (يسمى الرحلة الأزهرية)[55].

37- كتاب في تراجم علماء قسنطينة وفضلائها[56].

المبحث الثالث: الآراء والمواقف الإصلاحية

أولا: قضية الشرف والأشراف:

لم يخرج ابن مهنا عن الرأي العقيدي السني القائل بوجوب حفظ حق النبي في آل بيته وعترته وذريته، وإنما كان اعتراضه على اتخاذ الشرف مطية للتفلّت من الأحكام والآداب الشرعية.

ولكن الشيخ الصّالح ابن مَهَنّا أثار حملة شعواء على الأشراف المتعلقين بأذيال النسب والتعسف على الناس، في تعليقاته التي نشرها على رحلة الورثلاني، وكانت تعليقاته قاسية على أشراف وعلماء الوقت. فجرح شهادتهم وأسقطهم من الاعتبار كما قال عن عصاة الأشراف:" والمراد بعدم اعتباره أنه لا تجوز شهادته ولا إمامته ولا الرواية عنه ولا أخذ العلم عنه"[57]

كما ربت تعقبات ابن مهنا ضد المغاربة الذين يشيع عندهم النسب الحسني كثيرا، والذي اتخذه البعض مطية للتفلّت من أحكام الشريعة والتعالي على الخلق، وردّد في حاشيته ما قيل من طعن في نسب الأدارسة، مما جعل الردود عليه تتري من قبل الكثيرين، كما أسهم المغاربة في شن حملة مضادة على ابن مهنا، وقد توالت الردود والنقوض في هذا الموضوع من قبل الأعلام المغاربة والجزائريين، وأولهم كان شيخ الإسلام أبو عيسى محمد المهدي بن محمد بن محمد العمراني الوزاني[58]، الذي استنجد به خصوم ابن مهنا، حيث زار الوزاني قسنطينة، وبعدها تونس سنة (1323هـ/1905) واطّلع على القضية الناشئة فكتب "السيف المسلول باليد اليمنى في الرد على ابن مهنا"[59]، وأشبعه بالردود على ابن مهنا، وقرّظه نقيب الأشراف العلويين عبد الرحمان بن زيدان[60]الممثل للسلطة الزمنية المخزنية، واستطارت القضية، ومن نماذج ذلك ما نقله الشيخ المهدي البوعبدلي من قصـــيدة هجائية أجُجـــت بها النار بين الجزائريين والمغاربة[61].

كما دخل على الحلبة الفقهاء أمثال محمد العابد بن سودة الفاسي[62] في الرد المشهور " سنان اليراع وبنادق القرطاس في نحر من جازف وشتم الناس" ألفه سنة (1326هـ/1908م)[63] ، إضافة إلى عبد السلام العمراني[64] الذي عضد تأليفا الوزاني وابن ســـودة برد مقذع آخر سماه:" الكي بمحاور البغال

وقتل العقرب بالنعال في رد ما فاه به بعض الأنذال الذي جهل أنه من أهل الضلال"[65].

كما دخل في المعركة بعض المغمورين من أمثال من تخفىّ وراء اسم **هيان بن بيان** الذي نشر " كشف النقاب في الرد على الوسلاتي الكذاب"[66]، وذكر ابن مهنا في رده على الوزاني: نقله من رسالة هيان بن بيان وهي رسالة مجهولة ألفها بعض الحسدة، ولم يصرح فيها باسمه، وهي تدل على أن مؤلفها إباحي لأنه أباح فيها المحرمات، ولو كان مؤلـــفها على حق لصرح باسمه، ولم يجـــعل نفسه لقيطا بين المؤلفين[67].

وقد جرى إطلاق هذا اللقب على كل مجهول في التراث العربي، ومما يرجحّ مغربية صاحبها أن الاسم متداول بين المغاربة في الحط على بعضهم، إذ نجده عند محمد المهدي بن العباس الناصري الذي هاجم المفتي التوزوزيني ومؤيدي ثورته ضد الجلاوي التهامي سنة (1918م) بكتاب سماه:" نعت الغطريس الفسيس هيان بن بيان المنتمي للسوس"[68].

لكن أهم شخصية جزائرية دخلت في سجال خطير مع ابن مهنا هو بلديه الشيخ عاشور الخنقي[69] الذي حمل لواء معركة الشرف ودوره في النجاة يوم القيامة في كتابه "منار الإشراف في فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف"، وقد بالغ وجاوز الغلو، بل خالف مشهور المذهب في عدم إسلام أبي طالب، مما جعل البعض يرميه بالتشيع، وقد حشد في الكتاب عديد النصوص والنقول والروايات لدعم رأيه، وقد امتحن الرجلان كلاهما، وكان لفرنسا يدها الخفية والعلنية في محنة الرجلين[70].

والمهم أن عاشور سدّدّ سهام الهجاء المقذع لبن مهنا في جلّ قصائده، ولم يترك نقيصة خلقية أو خلقية إلا رماه بها مثل التشكيك في نسبه، وأنه وسلاتي من تونس، وبأنه مالطي في الصفات الدنية، وطعن في حياته الأسرية، بل وتعدى الأمر إلى الطعن في ديانته وأهليته للإمامة.

وعلى الطرف النقيض أسهم عبد الرحمان الديسي[71]في معركة الشرف ضد زميله بزاوية الهامل الشيخ عاشور، فقد انتفض الديسي ضد غلو عاشور فردّ عليه بكتاب نقض فيه أدلته وهو:" هدم المنار وكشف العوار" مما جعله عرضة لتمالىء أشراف الهامل عليه:" الذين أثارهم عنوان " هدم المنار" فأخذوا في التهجم على الديسي، والتعريض به، والتنديد بوجوده، واتهامه بنكران الجميل الذي أسدته له الزاوية التي تمثل رأس الشرف في المنطقة"[72].

ومن الزيبان الشرقي كانت ردود الشيخ محمد البخاري بن الصادق الزراري العقبي[73]، وهو علامة وصف نفسه بأنه الشريف الإدريسي أصلا، الزراري نسبا، المالكي مذهبا، الأشعري عقيدة، التجاني طريقة. وبحكم انتماء الشيخ محمد البخاري إلى دوحة الشرف الإدريسية، فقد خلّف لنا جملة من الردود منها: رسالة في المناضلة عن أهل البيت فيما تقوّله ابن مهنا، رسالة في الرد على من استخف بمحمد وآله صالح ابن مهنا، رسالة في الحكم على ابن مهنا القائل بعدم نفع الأبوين للأقارب.

ومن المتأخرين المولود الزريبي[74] الذي دخل المعركة متأخرا نتيجة عودته مطلع القرن السابق من مصر، ففي مناصرة بيّنة لابن مهنا، يقول الزريبي:" وأشنع من ذلك أنهم إذا ارتكبوا المعاصي والفسوق،

ونقد عليهم في ذلك علماء الشريعة الغراء، وبلغهم ذلك من طريق إخوانهم قالوا:" ولو وقع من ذلك، الواجب عليكم أن تخدمونا وتزورونا وتشاورونا في المسائل المهمة مراعاة لخاطر أجدادنا المشهورين عندكم بالصلاح والعمل، فقد كـــفونا مئونة تكاليف الشـــريعة ومشاقـــــها، فنحن إذا مثلهم ولو قصرنا في العمل"[75].

وقد كرر الزريبي هذه النقود في عديد مقالاته التي نشرها في الفاروق والصديق، وكان قذى في أعين المناوئين للأطاريح الجديدة في علاقة الإيمان والعمل والنسب، والتي افتتح الكلام فيها ابن مهنا.

ثانيا: الموقف من فاس والمغاربة.

ما يلفت الانتباه للناظر في تراث ابن مهنا هو الموقف الغريب من المغرب الأقصى، موقف اتسم بكثير من التحيز في نقد التاريخ والمدن والثقافة الشعبية فضلا عن التاريخ والجغرافيا، فهو لم يترك نقيصة إلا وسدّد سهامها للمغاربة، فلقد اتســـمت مواقفه بالحدة والمبالغة تجاه المـــغاربة الذين لم يسلموا منه طلبة ولا علماء.

وابتداء فليس من مكرور القول إن الدعاية ضد المغاربة قديمة، وبعض منها يعود للصراع العثماني المغربي، إذ ظل المغرب عصيا عن التبعية للأستانة على الرغم من محاولات بعض الولاة في إيالة الجزائر ضمه للخلافة العثمانية. ولعل شذرا من تلك الدعاية استغوى بعض المصريين الذين كانوا يحتقرون المغاربة والبربر[76]، كما قد يكون مرجع ذلك إلى الإرث الشعبي الذي يحتفظ به المصريون ضد الدولة الفاطمية وظهيرها القوي من قبائل كتامة وصنهاجة البربريتان.

فهل كان ابن مهنا ضحية ذلك كحاصلة لهوسه الكبير بمصر وتراثها وثقافتها التي لم ينتقد منها قليلا ولا كثيرا، على عكـــس ما فعله قلـــــمه بجيرانه، بل وحـــــتى بأهله ساكنة الجزائر من البربر وحضر قسنطينة.

ويمكن جمع تلك الأحكام القاسية الجائرة من ابن مهنا على المغاربة في الآتي:

1-**الجهل والبلادة:** مما سال به قلم ابن مهنا اتهام المغاربة بالبلادة والجهل[77]، ومن جملة استشهاداته الشاذة على رأيه:" ويبعد كل البعد أن يكون ابن خلدون من المغرب الأقصى لأن تربة المغرب الأقصى بعيدة من الذكاء"[78]، كما أشبع كتبه بالأحاديث الباطلة في ذم المغرب، واتهام للمغاربة بالسحر والتنجيم، ولم تسلم الأنساب أيضا حتى أنه ذكّر بعض علمائهم بنسبهم اليهودي بزعمه[79].

ولكن يجب التذكير وفي معرض الاعتذار أن الأدب الهجائي الشعبي كان معروفا بين المتجاورين، وهو ينمّ عن المنافسة الأدبية بينهم، وقد وجدنا محمد بن المصطفى المشرفي (1854-1916) (الجزائري الأصل والمغربي القرار) يقول في كتابه:" الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية" ما نصه:" المغرب محتو على أوباش البربر وأجلاف الأعراب إلا ما قلّ منهم.... وهم على غاية التوحش وشدة النفور من هذه المخترعات التي لم يألفوها ولا رأوها قط"[80].

ومن قبله ذكر المغربي الإمام العياشي شيئا من ذلك في شـــهادته على السلوك المغربي في الأزهر،

فقال:" والمغاربة لما في أخلاقهم من الشكاسة لا يكادون يصبرون على القراءة عليه– شيخ القراء سلطان بن أحمد بن سلامة–، فأكثر الملازمين له أهل بلده لما جُبلوا عليه من سعة الخلق وتحمل الأذى والصبر "[81].

وفي المتداول المغربي أن المولى إسماعيل كان ينتقد سلوك رعيته المغاربة في هروبهم من عمل الجندية، وميلهم للخمول والكسل[82]، ولذلك استعاض عنهم بتكوين جيش من العبيد عُرف بجيش عبيد البخاري.

ولكن ابن مهنا يُلام على الانطواء في جلباب ذلك الأدب الهجائي بين المتجاورين مهما شطّت الأقلام، ويمكن أن نسوق بعضا من اللغة الحادة لنتفهّم سر الشنآن بين ابن مهنا وإخواننا المغاربة:

فقد قال عن خصيمه الوزاني:" فسافر إلى بلاد البربر الهمج، وحوط الحماقة والعوج"[83]، ونقل عن الإسحاقي في تاريخه: "الحماقة عشرة أجزاء في المغاربة، وواحدة في سائر الناس، وكفى بهذا ذما كما وذكر ما لا يصح من الأحاديث والآثار في لجاجة لا تقبل من مثله:" بل ورد ما يدل على الذم في المغرب وأهله البربر سكانه مثل:" الحمق عشرة أجزاء تسعة في البربر، وواحد في سائر الناس"[84].

"فهؤلاء هم سكان فاس والمغرب الأقصى على زعمه، وهم وإن أسلموا فبقيت تلك القساوة موروثة فيهم، وهذا أمر مشاهد في أعقابهم إلى وقتنا هذا، ثم إن أكثرهم (أي الأندلسيين) هاجر إلى الشام لأن العرب منهم أصلهم من الشام كما في نفح الطيب، فرجع الدرّ إلى معدنه، وهاجر ذرية الاصبنيول إلى فاس والمغرب الأقصى، فالتحق الشكل بشكله"[85].

ولا ندري الأسباب التي جعلت ابن مهنا يشذ عن أقرانه في علائق الحبّ والوداد لبلد القرويين، ويحتار الباحث في تفسير ذلك، فالمتتبع لتعليقاته على الرحلة الورثلانية يفغر فاه من كثرة النقد والتجريح واللجاجة في الخصام التي جعلته يتعقّب بالحق والباطل والمقبول والمردود علماء كبار كالعياشي والعبدري والبناني، ولم يسلم منه حتى ابن بطوطة الذي نقل تكذيب ابن خلدون له، وغيرهم في كل فرصة سانحة، وشمل المغاربة كلهم بهذه الأوصاف لا يليق بعالم في مقام ابن مهنا.

هل الأمر يعود إلى خصومة فردية مع أحد المغاربة المجاورين في الأزهر، ثم تطورت إلى ما شاهدنا فيما سطره في طُرره وحاشيته؟، أم هو ممالأة نفسية ومضاهاة لمواقف بعض أهل مصر من جيرانهم بدو برقة، وكذا الوافدين من الحجيج حيث يحوي الأدب الشعبي المصري ما يدل على ذلك إلى اليوم" كل ما يجي من الغرب مليح إلا ابن آدم والريح" .

ويبقى الأمر مفتوحا في دراسة لنفسية ابن مهنا تشفي الغليل في هذا الشأن المحير من القلم الجارح لابن مهنا تجاه المغاربة، ومما يدل على هذه النفسية المتوترة لا بن مهنا ما أورده في نقده المبطن لفقهاء الوقت حيث قال بلغة عنيفة:" فإذا ساويت بينهم وبين الحمير سقطت عنك لا محالة نوقة التعبير، وإن شئت فجاوبهم بالصفع على القفا، أو عاملهم معاملة إدريس لإبليس، والأول هو مذهبي"[86]

2- مشكلة السحر والعلوم الخفية:

تأثر ابن مهنا بالنظرة السلبية للمصريين تجاه المغاربة بكونهم أربابا في السحر والتنجيم والعلوم الخفية، وكان الأدب الشعبي المصري مليئا بهذه الحمولة، وقد سبق لابن خلدون عرضه في مقدمته، ومن بعده دوطي في دراسته عن الممارسات الخفية[87]لأسباب شيوع السحر والكهانة في الأطالس المغربية نتيجة الجهل ولبقايا الوثنية والديانة البروغواطية، وكذا ديانة غمارة في الشمال.

لكن أحكام ابن مهنا كانت قاسية، وتنم عن استقراء ضعيف للواقع العلمي بالمغرب، والذي شهد نشاط علميا مند أيام السعديين، ومما قاله ابن مهنا:" فصار المغربي منسوبا عند المصريين إلى الدجل والشعوذة والسحر، حتى قال بعض العلماء: جميع ما ألفه المغاربة يفوقه ما ألفه عالم واحد وهو الإمام جلال الدين السيوطي ما عدا كتب السحر والشعوذة، فإنهم ألفوا منها كثيرا وملئوا بها الأرض كابن الحاج الكبير وغيره، وجلبوا بها أموال الناس وأظنهم توارثوها عن أسلافهم المجوس"[88].

ومما شدّد عليه ابن مهنا اشتغال البطّالين والأدعياء بعلوم الكيمياء ودعوى تكثير الدراهم وتتبع الكنوز في الخرائب والقفار. مما لا يزال موجودا لحد الساعة في بعض المناطق الجزائرية والمغربية في مخالفة لسنة الله تعالى في الكسب وتكثير المال من وجوهه المعروفة من الزراعة والتجارة والصنائع.

فقد ذكر أن هذا الفعل اشتغل به بعض المغاربة الوافدين على مصر، وقال:" ولم يزل من شأن المغاربة الدجل والكذب والنصب على أموال الناس بسبب هذه الصناعة الكاذبة ومثل الكيمياء في أنها حرام..... ولقد أحسن "سعيد باشا" عزيز مصر حيث أمر بنفي المغاربة الدجالين من مصر، وقطع رقابهم، ويقال: أنه غرّقهم في البحر -والله أعلم- وهو مصيب في ذلك ومأجور، لأن الزنادقة يقتلون بلا توبة[89].

3- كثرة الأشراف بالمغرب:

أفصح ابن مهنا عن تذمّره من كثرة ادعاء المغاربة للنسب الشريف، وساق العديد من الايحاءات والإشارات، بله والتصريحات في ظنيّة هذا النسب الشريف الذي اتخذه البعض تكأة للتفلّت من أحكام الشريعة ورسومها الظاهرة وآدابها الباطنة أيضا، ومن جملة الإشارات استبعاد لجوئهم للمغرب الأقصى لبعد النأي عن الحجاز والمشرق، فمن ذلك عن هروب إدريس الأكبر بعد معركة فخ (169هـ):" فما باله يسافر ستة أشهر في قفار ومفاوز مُهلكة مع عدم الأمن على النفس والمال، خصوصا إذا كان معه حريم، وهو يطوى الفيافي قاصدا بلاد الهمج والبربر "[90]. وما قاله ابن مهنا لا يُسّلم له، فكثير من خوارج المشرق لجأوا إلى المغرب، وعبد الرحمان بن رستم مشرقي وعلى أكتافه قامت الدولة الرستمية، وعبد الرحمان بن معاوية مشرقي وقد كابد الأهوال وجدّد ملك الأمويين بالأندلس، فلا يبعد أن يلجأ إدريس والناجون من إخوته لتلك الأصقاع.

والواقع التاريخي أن التذمر كان حاصلا عند بعض العلماء من كثرة ادعاء الشرف، نتيجة ما كان يجلبه من مقام وحظوة وإعفاء من الضرائب، وغير ذلك من رسوخ المكانة في مجتمعات البربر.

ومن الشواهد على ذلك ما أورده المقري من أخبار جده أبي عبد الله المقري(759هـ) في مجلس السلطان أبي عنان الذي خاطب نقيب أشراف فاس بقوله:" أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبثه ولا يرتاب فيه أحد، وأما شرفك فمظنون، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة، ولو علمنا شرفك قطعاً لأقمنا هذا من هنا، وأشار إلى السلطان أبي عنان، وأجلسناك مجلسه، فسكت"[91].

وهذه الحادثة وأمثالها كثيرة، وتمتلئ بها كتب الرحلات والنوازل الفقهية مما لا تفي الدراسة به، ولكنها تشير إلى تذمر فقهي من ركوب البعض مطية الشرف تحقيقا لمآرب لطخت وجه الشرف والأشراف.

4- ذم فاس وأهلها.

اتسمت أحكام ابن مهنا بالحدة وعدم العلمية والموضوعية في مواقفه تجاه الجيران المغاربة، وعانت فاس سكانا وعلماء وبلدا شططا من قلم ابن مهنا، فمما قاله ابن مهنا في ذم المدينة:" وما عسى أن تكون فاس إن هي إلا بلدة في دجى الدنيا يسكنها البربر واليهود"[92]. بل تعدى ابن مهنا إلى نقد الموروث الفقهي في العمل الفاسي[93].

ولم يسلم منه أشرافها حيث رماهم بكل نقيصة:" وهم في كل عصر موجودون – الإباحية- ولكنهم يتسترون بالرفض والتشيع، ويقولون إن الشريف الفاسي ساقط عليه التكليف ولا يتوجّه إليه أمر ولا نهي، وقصدهم بذلك التوصل إلى مذهب الإباحة، وهم كفار بلا شك زنادقة، ومن وافقهم على ذلك فهو مثلهم"[94]

وقد كان تهاجي المدن واقعا معروفا، والكتابات في فضائل البلدان لا تنتهي، ولكن قضية فاس لم تسلم حتى من المغاربة أنفسهم، فيما نسميه صراع البدو والحضر، تنافس فاس ومكناس، تنافس البربر والعرب، صراع بلاد المخزن والسيبة، الجبالة والحضر..... إلخ.

وفي ذلك شواهد من داخل الأدب والتراث المغربي، ومن ذلك ما قيل عن نكبة علماء فاس أثناء معارضتهم حكم المولى إسماعيل العلوي[95] في قضية تمليك العبيد سنة (1708م)، فأدى ذلك لمقتل الإمام عبد السلام جسوس، ونكبة العلامتين ميارة، والعربي بردلة، فعلق الزياني على ذلك بقوله: " بسبب ولع سكان فاس بالخلاف على الملوك في كل عصر ودولة وعدم انزجارهم بما يقع لهم من المصائب يعود إلى قسوة قلوب ناسها وتكبّرهم وذلك لحروشة مائها وفساد هوائها"[96].

ثالثا: تفضيل المشرق على المغرب:

من القضايا التي ركز عليها ابن مهنا الانتصار للمشرق ثقافة وجغرافيا على حساب بلده الجزائر، وساق الحجج من القرآن والسنة والآثار، واشتط حتى ذكر أحاديث لا أصل لها، ولعل حمية المدافعة عن المشرق تستبطن وتستعلن الحملة غير المبررة ضد البربر والمغاربة عموما، وهي قضية تحتاج لدراسة نفسية وإثنوغرافية في الدافعية التي جعلت الرجل لا يهاب أحدا من المجاورين في هذا. أهو الإزراء على الحالة العلمية المتردية في المغارب مقارنة بالمشرق؟، أم هو الإشادة بالنهضة العلمية الصاعدة التي خلفها وراءه في الأزهر؟، وفي الوقت ذاته محاكمة مبطنة للاستعمار الذي قضى على المعاهد العلمية في الجزائر؟.

فممن الحجج التي ذكرها في تفضيل المشرق توجيهه لحديث" لا يزال أهل الغرب ظاهرين" بأنهم أهل الشام أو العرب أهل الدلو، وليس المغرب، مضعفا روايات الحميدي وغيره للفظة" المغرب"[97]، وأن الرحلة في طلب العلم كانت ولا زالت للمشرق وليس العكس، إضافة إلى إيراده أحاديث تالفة في ذم البربر والمغرب، فضلا عن الاستدلال بالجغرافيا وحركة رياح الصبا والدبور، وكثرة الأنهار، واستفاضة العمران والمدارس والخوانق بالمشرق، وقلتها بالمغرب[98]. وأن المشرق مهبط النبوات، وموئل العلماء.

ومما قاله في ذلك:" كيف يكون هذا والشواهد العقلية والنّقلية قاطعة بضد ذلك: فمن الشواهد النقلية ما ورد في الحرمين والشام ومصر، ... وقد ملئت الكتب بفضائل هذه الأقطار مما هو مذكور في الصحيحين، وبقية كتب السنة، ولم يرد شيء في المغرب في الكتب الستة التي يدور عليها رحى الإسلام"[99]

وهذا النقد للوضع العمراني والعلمي بالمغرب لم ينفرد به ابن مهنا، فقد سبقه العياشي المغربي في نقده للمغاربة في عدم الاعتناء بالمباني:" وأما أهل مغربنا فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث بل ولا مهدما قد جدد أو واهيا قد أصلح، بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم فأحسن أحوالهم إن كان مبنيا برخام أن يعاد بآجر وجص، وإن كان مجصصا أن يعاد بطين، بحيث تجد المسجد كأنه مرقعة فقير هندي من كل لون رقعة، وإلى الله المشتكى"[100].

ويلحق بهذا الإزراء العمراني من ابن مهنا تفضيله المدن على القرى بحكم أن البربر لا يسكنون إلا القرى والوعر من الجبال، وقد دفعه ذلك الى انتقاد الأمير عبد القادر في قصيدة تفضيل البادية على المدينة[101].

وقد جره هذا الإزراء بالمغرب إلى انتقاص بلده الجزائر في لحن الكلام، ومنها وأنه في تعليقه على ما ذكره الورثلاني من كثرة أهل زواوة، استدعى احصائيات الجغرافيا مقارنا مصر ذات الاثني عشر مليونا، في حين لم يكن في الجزائر بما فيها أهل زواوة إلا ثلاثة ملايين[102]، ناسيا أن التراجع السكاني إنما كان بسبب مدافع الاستعمار البغيض، وسنوات الجوع والمسغبة، وأعوام الطواعين والأوبئة.

كما لا ننسى أن لابن مهنا موقفا سيئا من الأتراك' وربما حمله ظلم المتأخرين من ولاته على تعميم أحكامه القاسية، خاصة إذا علمنا أن مواطن آبائه بالقل كانت تتعرض لحملات جمع الضرائب الفادحة من بايليك قسنطينة في أواخر العهد العثماني، وقذ ذكر شيئا من فداحة باياته تجاه الساكنة، ولأجل ذلك أعدمهم كل فضيلة:" أمراء دولة الأتراك وكبراؤهم الذين كانوا بقطر الجزائر، فإنهم هم الذين كانوا لا اعتناء لهم بالعلم، فإنهم همج جهّال، فلذا لم يخلّدوا مآثر يستحقون بها الذكر، ولم يتركوا مفاخر يستوجبون عليها الشكر، بل كان شأنهم قتل الأنفس بغير حق وسلب الأموال" [103].

وربما تأثر ابن مهنا بالجو المصري الذي بدأت فيه الدعاية القومية ضد الأتراك أواخر القرن التاسع عشر، والتي انتفخ أوارها وطار شررها بالنافخ الإنجليزي حتى استطارت نارا في الثورة العربية الكبرى (1916).

رابعا: الموقف من البربر: يستغرب المرء من لجاجة ابن مهنا في هجو المغرب والبربر، وهو الفقيه العارف بأن الأعراق لا علاقة لها بالتقوى، ففي حاشيته أورد أحاديث تالفة موضوعة في ذم البربر، وأنهم قتلة أنبياء، وأنهم أهل حمق وقساوة وغباء[104]، كما ازدرى اللغة البربرية. فهل يمكن العودة بذلك للهوى المصري الذي يسكنه، حيث كان حنينه وحبه لمصر جارفا كما قال في بكائه على أزهرها ونيلها وروضتها:" لهفي على تلك الأيام، ورؤية السادات الكرام، فالعادل عن ذلك القطر كمن بنى قصرا وهدم مَصرا"[105].

أم هي الأرومة العربية التي تملأ جوانحه، وهو المتحسر على فوات عز قبيلته المشرقية التي بكى أيامها وأمراءها ؟، أم هو نعي على تأخر الأوضاع الثقافية، وتخلّف العلم وتقهقره في الجبال الكتامية على أيامه؟ أم أن هذا الموقف انسجام واستطراق لموقفه من المغاربة وجلّهم من بربر مصمودة وصنهاجة وزناتة؟

خامسا: الموقف من حضر قسنطينة: للباحث أن يلحظ في كتب ابن مهنا وتعليقاته على الرحلة موقفا ممتعضا من حاضرة قسنطينة وأهلها الذين كانوا سببا في محنته، فقد هاجم ابن مهنا بعض الحضر، واشتط في العودة ببعضهم إلى الأصول اليهودية[106]، والحقيقة أن اليهود كانوا كتلة سكانية مؤثرة في الحراك الاجتماعي والاقتصادي، وسيصل بهم الأمر إلى الارتماء في الاحضان الفرنسية بعد قانون كريميو (1870م)[107]ثم إلى التصادم العنيف مع الأغلبية المسلمة في الأحداث الدامية سنة (1934م).

لا يمكن التخمين والقطع بسبب لذلك، ولكن يمكن ارجاعه إلى التقاطع العميق بين الحضر وسكان الجبال، أو ما يعرف بقبائل الحدرة (الشمال القسنطيني)، وربما يعود البعض من ذلك إلى عدم ترحيب الحضر بالمدرسين الوافدين على قسنطينة مثل ابن مهنا والشيخ عاشور، وبقاء ولائهم للعائلات التقليدية مثل ابن الفكون وباشتارزي وابن باديس، بل إن ابن الفكون وهو عريق الجرثومة في قسنطينة يشتكي من مواقف أهلها تجاه بعض مترجميه في منشور الهداية[108]، مما يحيل إلى ظاهرة اجتماعية جديرة بالبحث والتنقيب. ويعضد ذلك أنه خصص قصيدة كاملة في آخر كتابه "محدد السنان"، وصف فيها حالة أهل قسنطينة عندئذ وما كانوا عليه من الجهل في نظره، ومن التفاخر بالشرف والجدود، ومنابذة العلم والعلماء والتباهي بالمراتب والرياسات[109].

وفي هذا السياق كان الراشدي (1194هـ/1780م)، ضحية لبعض القسنطينين:" وقد وقعت بينه وبين طلبة قسنطينة مخاصمة عظيمة ومنازعة كبيرة حتى رموه بالتجسيم بل بعضهم كفره ومن الإسلام أخرجه، وذلك أمر عظيم في الدين" [110]. كما أنه تعرض في كتابه "اللألي المستضيئة" لكثير من عائلات قسنطينة،[111]. مما عجّل بعزله عن القضاء بعد محاكمة من المجلس العلمي بدعاوى واتهامات في العقيدة.

لكن ذلك لا يمكن فهمه بمعزل عن المقارنات التي تسكن رأس ابن مهنا بين الوضع العلمي المزري في الجزائر، وبين مثيله المزدهر في مصر، فقد وجدناه يكرر مرارا امتعاضه من الجو القاسي الذي تعيشه

مدارس الجزائر وعدم اعتناء الحكام بها، ولكن أنىّ للمستعمرين أن يدعموا تعليما يفضح جرائمهم.

فمما قاله في ذم وانتقاص المدينة وأهلها:" قام بعض الأراذل ممن طمس الله بصيرته بالحسد ينتقد بعض الكلمات كالطاعن المعثار، والخفّاش الأعمى الذي لا يبصر شمس النهار، ووراثة للحسد الموروث من أجدادهم، مثل كعب بن الأشرف ومرحب، وابن أبي الحقيق وأشباههم"[112].

وربما يحيل هذا إلى النقاش المغربي نفسه حول البلديين الذين هم من أصول أندلسية وأشراف فاس، وكذا بعض المسلمين الذين كان أجدادهم يهودا ثم أسلموا طواعية أو كراهية أيام الموحدين في فاس والمغرب عموما، وكانت الأدبيات الشعبية والمتداول اللساني والذاكرة الجماعية ذات حمولة غير جيدة حول هؤلاء، وقد كتب العلامة ميارة الفاسي في القضية:" تنبيه المغترين على حرمة التفريق بين المسلمين".

كما هاجم ابن مهنا القسنطينيين وغيرهم في موضوع شراء شجرات الشرف، وقذ كان الأمر ذائعا منذ أيام الأتراك للتخلّص من المغارم والمكوس، أو للانسياب في المجموع ونسيان الأصول النسَبية من الترك والكراغلة وغيرهم، ولذلك هُوجم ابن مهنا من قبلهم لما تكلم في عقود الأتراك وصحّة أنكحتهم [113]، فمما كرّره في الحاشية الإشارة إلى ظاهرة شراء شجرات الأنساب الشريفة وتزييفها والدّس فيها، ومن ذلك ما نقله:" وذكر لي من أثق به أن بعض قضاة الجزائر في الدولة التركية كان يأخذ خمسين دينارا سلطانيا، ويكتب الشجرة لمن أرادها من واحد أو جماعة أو عائلة أو قبيلة ليتخلصوا بذاك من الظلم"[114]

والمهم أن ابن مهنا كان حانقا على الطبقة العلمائية والعدلية والطرقية لما رُمي به من اتهامات جرته للمحاكم الفرنسية، مما جعله يتحدّى في آخر رسالته في شهادة نادرة عن القضايا الثقافية والاجتماعية التي رفعتها هذه الطبقة ضده، حيث قال:" كل من كان بقسنطينة عالما، أو مدرسا، أو قاضيا، أو عادلا، أو باش عادل، أو خطيبا، أو طالبا، أو مقدم إخوان، فليجاوبني على هذه الرسالة، أو يعارضها، فإن لم يفعلوا فدلّ عجزهم على أن جميع ما قلته حق، وأن من خالفني هو الجاهل المُبطل قتيل الحسد والبغض"[115].

سادسا: نقد الأوضاع الثقافية بالجزائر المستعمرة:

تعددت النقود المختلفة والمرافعات الكثيرة على أوضاع الجزائر المستعمرة من قبل ابن مهنا، وكانت لغتها حذرة نتيجة حضور الرقيب الاستعماري، ويمكن إجمال أغلب النقود في الآتي:

– عدم الاعتناء بالعلم ورسومه ومدارسه: ففي مقارنة بين الوضعين العلمي في تونس والجزائر، واحتفاء بالأولى التي مدح مدارسها والإنفاق المالي عليها:" وهذا بخلاف قطر الجزائر، فإن الأمر مهمل لعدم اعتناء أمرائهم وكبرائهم بالعلم، فتجد الطلبة في حالة يرثى لها، وأما القطر المصري فله كيفية أخرى مستحسنة". وقال:" ولم توجد مدرسة إسلامية لهذا العهد كالجامع الأزهر لا في المشرق ولا في المغرب"[116].

– نقده لمناهج التعليم في المعاهد الجزائرية والتي يتخرّج منها طلبة لا يعرفون إلا مبادئ ثلاثة علوم هي الفقه والنحو والكلام، ولكنهم يعجزون عن رد شبهات الزنادقة[117]، وكأنه يشير إلى العقم الفكري للخريجين

في أيام اشتداد الحملات التنصيرية في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر.

– نقد طرائق التعليم التي لا تخرّج مبدعين، كما هو الحال مع طلبة قسنطينة أيامه، فمن ذلك قوله:"مسألة في بعض طلبة قسنطينة وتأخرهم عن الفهم جدا، وهذا شيء شاهدته بنفسي، ومارسته منذ ثلاثين سنة، فوجدت الكثير منهم يقرأ الواحد منهم عشرين سنة ولا يحُسن الوضوء فضلا عن غيره، وهذا بالنسبة إلى المنقول، وأما بالنسبة إلى المعقول فإن الواحد منهم لا يعرف معنى اسمه في مدّة عمره"[118]

– نعيه على علماء الجزائر جهلهم بالتاريخ، وهو ما اشتكى منه الورثلاني قبله بقرنين. في حين علت عقيرة ابن مهنا باستقباح اهتمامات بعض العلماء الموغلين في الفروعيات والمنكفّين عن التاريخ والسنن، فيقول في أنموذج من هذا النقد:" فتجد العالم الجاهل بعلم التاريخ يخبط خبط عشواء، ويبذل جهده في مسائل الحيض والاستحاضة، وما أشبه ذلك". وفي نص آخر أكثر إيلاما يقول عن بلده الجزائر:" وطن الجزائر أكثر إهمالا من كل وطن من أقطار المغرب الأربعة، ومثله في الإهمال وطن طرابلس، فترى كل وطن له اعتناء بفن التاريخ، وذكر مناقب الأولياء والعلماء، إلا وطن الجزائر، فكل عالم أو ولي صار عندهم نسيا منسيا، وكذا الملوك وأهل المفاخر والمآثر ممن يستحق الذكر"[119]

– نقده المتكرر للمظاهر الفلكلورية المحيطة بالمزارات والقباب، والتي عكف عليها الجزائريون في أيام صعود المرابطية، فمن نقده للتقاليد السائدة آنذاك نكيره الشديد على الاجتماعات والحضرات المختلطة التي شاعت وذاعت:" فتراهم يخرجون وهم يصيحون وينبحون نبح الكلاب، طريقهم ليست على الصواب، ثم مع هذه المناكر والمفاسد يحسبون أنهم يحسنون صنعا، خابوا والله وخسروا"[120].

سابعا: نقد صوفية وفقهاء الوقت: شنّ ابن مهنا وهو المتصوف الحنصالي حملة شعواء ضد متصوفة وفقراء وقته الذين لم يستنكف عن النكير عليهم في دعاوى المشيخة والتصدّر للتسليك، والتباري في أكل أموال الناس، والتزلّف للسلاطين والكبراء، إذ يقول:" وقال العلماء: الفقه المجرد من الحديث والتصوف يقسي القلب، لا جرم أنهم جمعوا بين الفسق والقساوة إلى ما عندهم من الغباوة، فتحتم عليهم الختم بالشقاوة، فقد جمـــعوا فأوعوا، فلم يجد الخير مدخلا في قلوبهم، ولا النور موضعا في بصائرهم –نعوذ بالله منهم–"[121].

كما هاجم ابن مهنا مداخل التلبيس على العموم من اتخاذ المنامات والرؤى مطية للتكسّب أو التحلّل أو تبديل الشرع، كما شاع في زمنه. ولم يسلم منه الفقهاء المتلبسون بالدنيا، والمبتعدون عن التزكية والتصوف الحميد، فقد كان لهم النصيب الأوفر من النقد المتكرر، كما نالت سهامه عدول الوقت من قضاة وشهود وموثقين، والذين استفزه فيهم جهلهم وأكلهم الأموال بالباطل، قال:" ولو أردنا بسط الكلام في عدول الوقت لأفضـــى بنا ذلك إلى التطويل الممل، وأي فائدة في ذكر العجر والبجر، وتلطيخ البياض بالسواد"[122]

وفي لغة ناعية على الجميع، وخاصة المنتمين تلبسا بالتصوف، وليسوا منه في قليل ولا كثير يقول:" فما بالك بالقرن الرابع عشـــر الهجري الذي كثرت فيه الدجاجـــلة، نعم الفرق أن هؤلاء لا يحسنون

التمويه لفرط غباوتهم، فأمورهم مفتضحة لدى الخاص والعام – أخلى الله منهم الأرض –[123].

ولأجل ذلك تكرر النكير منه عليهم في جلّ مؤلفاته وفي حاشيته على الورثلاني الذي آساه من قبل في مواقفه من متصوفة الوقت، حيث نقل عنه:" وأكثر من أفسد علي الأمور شياطين الطلبة، وأولاد المرابطين، والفقراء المغرورون المخدوعون الجاهلون، والإخوان المنسوبون إلى الطرق"[124]. وأكثر من ذلك كان نعيه على جميع متصوفة الوقت مشرقا ومغربا، وتبعا لهذا رفض تعاطي بعض العلوم المرتبطة بالتصوف كعلم الأوفاق وأسرار الحروف، ولكنه لم يتخلص من بعض الأدبيات الصوفية كالتوسع في الكرامات والقول بمفهوم التصريف للأولياء. والتسليم بمقولة الديوان وحكومة المتصوفة من الأقطاب والأغواث والأبدال[125].

لكن أثرة من النزعة الإصلاحية تظهر لديه كثيرا في رفض بعض المحدثات كالبناء على قبور ومشاهد الصالحين، وتحليتها بالحرير[126]. ولا ندري هل اطلع ابن مهنا على أدبيات الدعوة الوهابية، وهل كان له بها مسيس أو نقد أو وفاق، وذلك ما لا نجيب عنه الآن لقصور اليد عن باقي آثاره الكثيرة.

ولكن الجديد عنده هي التجديدية في الاستمداد والعرض، والعودة إلى الأصلين الكتاب والسنة، في صورة مخالفة لطرائق التدوين في زمنه، فأغلب مدوناته التي استقريناها مشحونة بأقوال المفسرين، وكتب الحديث، فضلا عن عودته إلى المصادر الأصيلة للتصوف السني العريق، ومما يدل على نزعته الإصلاحية احتفاؤه بالمصلح محمد بن علي السنوسي، الذي نقل لنا عنه شهادة عصر صادقة في الأثر الذي تركته دعوته في شرق ليبيا، وحفظ لنا شهادة شيخه الدراجي في تفضيل السنوسي على علماء مصر:" هو خير منهم – علماء مصر – لأن الله قد هدى به خلائق كثيرة"[127]

الخاتمة والأسئلة المفتوحة:

هل يمكن العود بهذه المواقف المقبول منها أو المردود حول الأشراف والمغاربة والبربر وحضر قسنطينة إلى هذه الفرضيات المقترحة، وهي تأخر المغرب في الإصلاح وهيمنة الدوائر المحافظة فيه على الدرس العلمي الذي كان منفتحا في الزيتونة، ومفتوحا في الأزهر على المذاهب الأربعة، وأن معاصرة ابن مهنا لحركة النهضة في مصر أيام الأفغاني ومحمد عبده، وأحداث ثورة عرابي وما أحدثته من هزات فكرية أتت على البقية الباقية من التراث العلمي المملوكي، وانبلاج عصر نهضة علمية في مصر طوال الخمسين سنة اللاحقة جعلته يقف هذه المواقف الحادة من المغاربة عموما.

ويعضد هذا أن قضايا التخلّف في السحر والعلوم الخفية كانت شائعة، وقد كرّت عليها النزعة العلمية والنهضة الصناعية في أوروبا التي فاجأت العالم الإسلامي، وكشفت له سوءته المتهالكة بما ارتكس إليه من التدثر بخرق بالية لم تحمه من المدافع الأوروبية.

كما حضرت القضية الاجتماعية في تفكير ابن مهنا، وهو الذي رآى مظاهرها المشينة في الظاهرة المرابطية والشرفية، والتي استند إليها البعض في التحلّل من تكاليف الشريعة ورسومها، مما جعله يستنكرها بشدة.

وفي هذا المضمار من الأسئلة المفتوحة فإنه لا يخفى على النواظر الدور التخريبي للاستعمار في إعاقة حركة النهضة وموجة الإصلاح، وتخوف فرنسا من هذا القادم من الشرق، وتأديبه بالتضييق والتوقيف ومصادرة المكتبة، كما قال مالك بن نبي في شهادة متأخرة عن مآلات محن النخب العلمائية في الجزائر في عهد الجمهورية الثالثة:" ففي الجزائر مثلا نرى الستار يرتفع عن شعب لازال يخدّره النوم الذي أخنى عليه بضعة قرون: إنه الشخصية الأولى، ولكن في نفس اللحظة تدخل شخصية ثانية نطلق عليها "فكرة متجسدة" لأنها تتمثل في شيخين وقورين هما الشيخ "ابن مهنا"، والشيخ "عبد القادر المجاوي" يتقدمان على مسرح التاريخ الجزائري كبطلين في الصراع الذي بدأ حينئذ ضد المرابطين والخرافات، وحيث كان لظهورهما دوي كبير في البلاد، فها هي شخصية ثالثة تدخل على إثرهما: هي الاستعمار، فالاستعمار يدخل المسرح حتى يعيد إلى وجـــوده صـــمتا يغار ويحرص على بقائه كي يطـــيب للنائمين نومهم....." [128].

والخلاصة أن الإجابة على هذه الأسئلة المفتوحة رهينة بمزيد من التنقيب عن آثار ابن مهنا المتناثرة، إضافة إلى الأرشيف الفرنسي في قسنطينة، ولكن الآراء والأفكار المفردة للرجل هزّت الساكن في الحياة العلمية، ومهدت بوضوح للانعتاق من آصار عهود التقليد، وتركت أثرها البين في مسيرة الحركة الإصلاحية التي ستعيد تدوير آرائه وتنقلها من حيز القوة إلى الفعل لتصير العديد من الممارسات الاجتماعية القديمة في حكم التاريخ المحكي للذاكرة الجماعية للجزائريين.

الهوامش

1 – عن ابن مهنا انظر: نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر، ط2، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، 1980، ص 323/ أبو عمران الشيخ: معجم مشاهير المغاربة، (تحرير وتنسيق)، منشورات جامعة الجزائر، 1995، ص521/ الصيد سليمان: صالح بن مهنا القسنطيني حياته تراثه، ط1، قسنطينة، دار البعث، 1983/ البوعبدلي المهدي: الأعمال الكاملة (جمع عبد الرحمان دويب) ط1، الجزائر، عالم المعرفة،2013، قسم التراجم، ص9-28/ سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ج 7 ص 331.

2 – سليمان الصيد: صالح ابن مهنا، ص 27. وذكر بعضهم سنة (1854م). وهو مستحيل تبعا لدراسته الخارجية.

3- ابن مهنا: حاشية على الرحلة الورثلانية، الجزائر، ط1، الجزائر، دار المعرفة الدولية،2011، ج 3 ص 317.

4 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 2 ص 86.

5 – ابن مهنا محمد الصالح: الفتح الرباني في الرد على المهدي الوزاني، ط1، مصر، دار التقدم، 1909، ص 34.

6 – انظر حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 2 ص 86/ وانظر فريد بك محمد المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، (تر إحسان حقي)، ط8، بيروت، دار النفائس، 1998، ص350.

7 – عبد الله بن غانم الدراجي الجزائري: انظر: الحفناوي أبو القاسم: تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، موفم للنشر،1991، ج 2 ص 52 / معجم أعلام الجزائر، ص 141/ تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7 ص 146/ الزركلي خير الدين: الأعلام، ط8، بيروت، دار العلم للملايين، 1980، ج 4 ص 252.

8 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 196/ نفسه، ج 2 ص 270.

9 – حاشية الرحلة، ج 1، ص 271 / الصيد، نفسه، ص 42.

10- ابن مهنا: حاشية على الرحلة، ج 1 ص 301. وعن قابادو انظر – مخلوف محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، بيروت، دار الفكر(د،ت)، رقم (1588)، ص 393/ الأعلام ج 8، ص 63/ كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين، ط1، بيروت، دار الرسالة، 1993، ج 3 ص 825/ محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1994، رقم 427.

11 – قال درست عليه بتونس في حدود (1273هـ-1856) انظر: حاشية على الرحلة،ج 3 ص 150/ نفسه، ج 2 ص 333. وعنه انظر شجـــرة النور (1575)، ص 393/ تراجم المؤلفين التونسيين، رقم (591) ج 4 ص 64.

12- انظر شجرة النور (1560) ص 390/ معجم المؤلفين، ج 3 ص 91/ الأعلام، ج 6 ص 234/ تراجم المؤلفين التونسيين، رقم (594) ج 4 ص 72/ حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 306.

13 – ابن مهنا: حاشية على الرحلة الورثلانية، 3 ص 315/ الصيد، نفسه، ص 43.

14- ابن مهنا: حاشية على الرحلة الورثلانية ج 1 ص 261/ الصيد: ابن مهنا، ص 43.

15 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 301/ الصيد، نفسه، ص 44.

16- حاشية على الرحلـــة، ج 1 ص 302 / وعن الباجوري. انظر: معجم المؤلفين، ج1 ص57/ الأعـلام، ج 1 ص66.

17 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 360.

18 – ابن مهنا محمد الصالح: رسالة لطيفة إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسية، الجزائر، بير فونتانا، 1904، ص33 /حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 371. وعن العروسي شيخ الأزهر العشرين (1798–1876م) انظر الأعلام، ج8 ص 144/ معجم المؤلفين، ج 3 ص879.

19 – حاشية على الرحـــلة ، ج 2 ص 89/ نفسه، ج 2 ص 333/ وعن عليش انظر: شجرة النور (1543) ص 385.

20 – المرصفي حسين أحمد، انظر الأعلام، ج 2 ص 250/ معجم المؤلفين ج 1 ص 601.

21 – حسن العدوي الحمزاوي انظر: شجرة النور ص 407/ الأزهري محمد البشير ظافر: اليواقيت الثمينة في أعيان عالم المدينة. مصر، مطبعة العباسية، 1908، ج 1 ص 126/ معجم المؤلفين، ج 1 ص 563.

22 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 2 ص 89. وعن الرفاعي انظر – تيمور أحمد باشا: تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر، مصر، دار الآفاق العربية، 2014، ص64.

23 – حاشية الرحلة ج 2 ص 62/ الصيد، ص 46/ حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 2 ص 113.

24 – الأشموني، انـــظر تراجم أعيـــان القرن الثالث عشر، ص 50/ حاشية على الرحـــلة الورثلانـــية، ج 3 ص 150.

25 – حاشية على الرحلة، ج3 ص 150. وعن الأجهوري: انظر معجم المؤلفين، ج 1 ص 92.

26 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 150. وعن شمس الدين الأنبابي الشافعي تولى مشيخة الأزهر مرتين سنوات (1882–1896م)، انظر الأعلام، ج 7 ص 75/ معجم المؤلفين، ج 1 ص 638.

27 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 226/ نفسه، ج 1 ص 415/ نفسه، ج 3 ص 311.

28 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 298 / ج 1 ص 305/ ج 2 ص 8/ ج 1 ص 423.

29 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 181/ ج 3 ص 161/ ج 3 ص 161.

30 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 2 ص 190/ ج 1 ص 385.

31 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 348/ نفسه، ج 2 ص 357/ ابن مهنا: رسالة لطيفة (مسألة الأمراء الكبراء).

32 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 243.

33 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 260.

34 – انظر– أجرون شارل روبير: الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871–1919)، (ت م حاج مسعود، أ بكلي) الجزائر، دار الرائد،2007. ج 1 ص73.

35 – محمود الشاذلي البوزيدي مدير المدرسة المزدوجة، توفي سنة (1905م). انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج8 ص 66.

36 – انظر سليمان الصيد: صالح بن مهنا القسنطيني، ص52–54.

37 – تلميذ ابن مهنا وابن الموهوب، وكتب بيده ستين مصحفا، وحج سنة (1909م) انظر: شغيب علي: أم الحواضر ي الماضي والحاضر قسنطينة. ط1، قسنطينة، دار البعث، 1980، ص 345.

38 – الصيد، نفسه، ص 67.

39 – طبع كتابه بالثعالبية سنة (1926) ، انظر: يسلي مقران: الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل، الجزائر، تيزي وزو، دار الأمل، 2006، ص254–255.

40 – تاريخ الجزائر الثقافي، ج07، ص214.

41 – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج08، ص119/ الصيد، نفسه، ص 104.

42 – شغيب: أم الحواضر، ص 339/ الصيد، نفسه، ص 36.

43 – –بن نبي مالك: شروط النهضة (تر عبد الصبور شاهين)، بيروت، دار الفكر، 1985، ص 23.

44– طبع بالمطبعة البارونية (1894م) انظر: البوعبدلي: صالح بن مهنا ناشر السلفية في الجزائر، قسم التراجم، ص 9.

45 – ذكر الصيد أنه مخطوط بدار الكتب الوطنية التونسية برقم (3631) في (107 ورقة). انظر المرجع نفسه، ص 165.

46 – شمس الدين الديروطي الدمياطي(921هـ)، انظر: الشعراني عبد الوهاب: الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013، ج 2 ص 184/ معجم المؤلفين ج 4 ص 307.

47 – ذكر الصيد أنه رآه بمسجد سيدي علي الذيب العتيق بسكيكدة يوم (30–7–1965م)، انظر المرجع نفسه، ص153.

48 – سليمان الصيد: نفسه، ص 158، وصور الأستاذ الصيد صفحته الأولى.

49 – مخطوط بدار الكتب الوطنية التونسية برقم (3755).

50 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 243. حيث قال:" وقد اختصرته اختصارا حسنا في جزء واحد". والعبدري هو ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي (737هـ) انظر ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، (تح محمد الأحمدي أبو النور) ط2، القاهرة، مكتبة دار التراث، 2005، ج 2 ص 255/ معجم المؤلفين، ج 3 ص 682.

51 – سليمان الصيد: نفسه، ص 149، وقال إنه رآه عند عبد المجيد بستانجي بالزاوية الحنصالية يوم (21–10–1964م).

52 –حاشية على الرحلة، ج 1 ص 201. وعن الأخضري: شجرة النور (1181) ص 285/ تعريف الخلف، ج 1 ص 72.

53 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 191/ ج 1 ص 201 / ج 1 ص 398.

54 – حاشية على الورثلانية، ج 1 ص 355. كما تعـقبه كثيرا في حاشيتـــه في تحامله على مصر والمشرق. وعن العبدري الرحالة انظر: الأعلام، ج 7 ص 32. انظر أيضا حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 317.

55 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 317.

56 – سليمان الصيد: ابن مهنا، ص 31. وقال: إنه مفقود.

57 – ابن مهنا: تنبيه المغترين والرد على إخـــوان الشياطين، مخطوط المكـــتبة الوطـــنية الجزائرية، ل 45، وجه، ب.

58 – انظر عن الوزاني شجرة النور، (1715) ص 435/ الأعلام، ج 7 ص335/ معجم المؤلفين ج 3 ص 740.

59 – –ابن سودة عبد السلام: دليل مؤرخ المغرب الأقـــصى، ط1، بيروت، دار الفـــكر،1997، رقم 2352، ص344.

60 – عبد الرحمان العلوي (1878–1946). انظر دليل بن سودة، ص 13/ معجم المؤلفين ج 2 ص112.

61 – المهدي البوعبدلي: صالح بن مهنا ناشر السلفية في الجزائر ومحنته، الأعمال الكاملة، قسم التراجم، ص9–28.

62 – محمد العابد بن سودة الفاسي الفهري (1902–1975م). انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى ص 49.

63 – ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، رقم 2350 ص 344.

64 – عبد الســـلام العمراني (ت 1931م)، انظر دليل مؤرخ المغرب الأقـــصى ص229/ معجم المؤلفين ج 2 ص 150.

65 – دليل مؤرخ المغرب الأقصى، رقم (2215) ص328. ونسبه البوعبدلي لمحمد بن مصطفى المشرفي. انظر المقال السابق ص 17.

66 – الوسلاتي نسبة إلى وسلات، جبل بتونس شمال غرب القيروان. 90. وكان يرد منه للجزائر العاصمة بعض العمال الذين يشتغلون في بعض الحرف والأعمال. انظر عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر العاصمة، ص252.

67 – ذكر سليمان الصيد أنه وقف على الرسالة في طبعة حجرية باسم المؤلف صحيح الإيمان هيان بن بيان في 28 صفحة.

68 – الناصري محمد المهدي بن العباس: نعت الغطريس الفسيس هيان بن بيان المنتمي للسوس، ط1، الرباط، دار الأمان، 2016، ص18. وانظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى رقم 910 ص155.

69 –_محمد عبد الحليم بيشي: الشيخ عاشور الخنقي آراؤه ومعاركه الفكرية، الأغواط، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة بمركز البحوث في العلوم الإسلامية، العدد 11، (يناير، 2020)، ص 94.

70 – انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 416/ج 5 ص 598/ ج 7 ص 333.

71 – الديسي: محمد بن عبد الرحمان (1854–1921)، انظر معجم أعلام الجزائر ص142/ تعريف الخلف ج2 ص240.

72 – انظر عمر بن قينة: الديسي حياته آثاره وأدبه، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د،ت. ص 58.

73 – محمد البخاري الزراري. انظر الصيد عبد الحليم: معجم أعلام بسكرة، ط1، الجزائر، دار النعمان، 2014، ص 179.

74 – هلال عمار: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، فيما بين القرنين 9–20، الجزائر، المطبوعات الجامعية، 1995، ص 339/ معجم أعلام الجزائر، ص 158/ السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر، ج 2 ص 155.

75 – الزريبي المولود: بذور الأفهام وشموس الأحلام على عقائد ابن عاشر الحبر الهمام، (تح عبد الرحمان دويب)، الجزائر، دار كنوز الرشيد، 2015، ص 247.

76 – انظر هامش الرحلة الورثلانية، ج3 ص 156.

77 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 2 ص 26/ ج 2 ص 162/ ج 3 ص 333.

78 – ابن مهنا: الفتح الرباني (رد المقالة الثالثة المتعلقة بنسبة الدجل إلى المغاربة)، ص 18.

79 – ابن مهنا: الفتح الرباني، (رد المقالة الأولى المتعلقة بالبناني)، ص 12.

80 – المشرفي: الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، مخطوط رقم د 1463 ص 420.نقلا: عبد الرحمان المودن: بعض المواقف المغربية من المستحدثات التقنية الغربية في القرن التاسع عشر من كتاب الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، منشورات جامعة محمد الخامس، رقم 7 سلسلة ندوات ومناظرات، 1983، ص 368.

81 – العياشي: الرحلة العياشية، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2011، ج 1 ص 165.

82 – عبد الإله بن مليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص 73.

83 – ابن مهنا: الفتح الرباني (المقدمة)، ص 4.

84 – ابن مهنا: الفتح الرباني، (رد المقالة الرابعة في إبطال الحديث الموضوع)، ص 25.

85 – ابن مهنا: الفتح الرباني، (المقالة فصل في بيان جهل المهدي)، ص 33.

86 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 294.

87 – انظر المقدمة لابن خلدون، ط2، صيدا، المكتبة العصرية، 1997، ص 485/ دوطي إدمون: السحر والدين في إفريقيا الشمالية، (تر فريد الزاهي)، ط1، الرباط، مطبعة بورقراق، 2008، ص 33.

88 – ابن مهنا: الفتح الرباني، (رد المقالة الثالثة بنسبة الدجل إلى المغاربة)، ص 19.

89 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 2 ص 134.

90 – ابن مهنا: الفتح الرباني، (فصل في بطلان استدلاله بحديث "لا يزال أهل الغرب ظاهرين ")، ص35.

91 – المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ط1، بيروت، دار الفكر،1998، ج 5 ص 292/ وانظر القصة في تعريف الخلف، ج 2 ص 359.

92 – انظر الفتح الرباني (المقالة الثانية المتعلقة بفاس)، ص 14–18.

93 – ابن مهنا: الفتح الرباني (رد المقالة المتعلقة بالعمليات الفاسية)، ص 40 / حاشية على الرحـلة الورثلانية، ج 3 ص 365.

94 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 129.

95 – المولى إسماعيل: حكم المغرب بين سنوات (1672–1727م). انظر السلاوي الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. ط1، بيروت، دار الكتب العلمية،2010، ج 3 ص 32/ جبرون محمد: تاريخ المغرب الأقصى، ط1، الدوحة، منتدى العلاقات العربية والدولية، 2019، ص 440.

96 – أبو القاسم الزياني في البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف: ص 50. نقلا عن كتاب: الرق في المغرب، ص 136.

97 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 319/ الفتح الرباني، (إبطال استدلاله بحديث لا يزال أهل الغرب)، ص 33.

98 – في مقارنة المغرب ببغداد قال إنه كالعدم. انظر حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 197.

99 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 333.

100 – العياشي: الرحلة العياشية، ج 1 ص 200.

101 – ابن مهنا: حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 246.

102 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 319.

103 – ابن مهنا: رسالة لطيفة، (مقالة مسألة الأمراء والكبراء)، ص 9/ وانظر الحاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 73/ نفسه، ج 3 ص 354/ نفسه، ج 3 ص 397.

104 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 217/ نفسه، ج 3 ص 333.

105 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 2 ص 222/ نفسه، ج 1 ص 38/ نفسه، ج 3 ص 222.

106 – أشار ابن الفكون إلى حوادث ردة من قبل بعض المتأسلمين من اليهود، انظر ابن الفكون: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، (تح أبو القاسم سعد الله)، ط1، بيروت، دار الغـــرب الإسلامي، 1987، ص 64.

107 – منحت حكومة الدفاع الوطني التي سبقت ميلاد الجهورية الثالثة الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر بمرسوم لوزير العدل اليهودي" أودلف كريميو" في (24 أكتوبر 1870م)، وبحكمه تجنس ألاف اليهود وصاروا مواطنين فرنسيين. وقد ألف حاخام قسنطينة " إزامبيت" كتابا عن يهود قسنطينة، وأن أغلبهم من الأندلس. انظر: شغيب: أم الحواضر، ص 223.

108 – ابن الفكون: منشور الهداية، ص 79، 83.

109 – أبو القاسم سعد الله: شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون، داعية السلفية في الجزائر، ط1، بيروت، دار الغرب، ص 135.

110 – الحسين الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج03، ص371.

111 – عبد الله حمادي: مقدمة كتاب عبد القادر الراشدي القسنطيني: تحفة الإخوان في تحريم الدخان، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1997، ص34.

112 – ابن مهنا: الفتح الرباني، (المقدمة)، ص 4.

113 – ابن مهنا: رسالة لطيفة (مسألة في الأتراك) ، ص 19 / حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 354.
114 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 53.
115 –ابن مهنا: رسالة لطيفة، (الخاتمة)، ص 40.
116 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 317/ نفسه، ج 3 ص 273. وانظر في الوضع العلمي للمدارس الجزائرية ابن زكري محمد السعيد الجنادي: أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، (تح محمد عبد الحليم بيشي)، ط1، الجزائر، دار البصائر الجديدة، 2016، ص 12.
117 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 353.
118 – ابن مهنا: رسالة لطيفة (مسألة طلبة قسنطينة)، ص 16.
119 – حاشية على الرحـــلة الورثلانية، ج 2 ص 97. وانظر أيضا المـــصدر نفـــسه، ج 3 ص 218/ ج 1 ص 215.
120 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 40.
121 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 316.
122 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 179/ نفسه، ج 3 ص 130.
123 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 284.
124 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 385.
125 – حاشية على الرحلة، ج 1 ص 255/ ج 1 ص 111/ نفسه، ج 3 ص 284/ نفسه، ج 2 ص 81.
126 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 3 ص 365.
127 – حاشية على الرحلة الورثلانية، ج 1 ص 424.
128 – بن نبي مالك: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دمشق، دار الفكر،1981، ص15.